

رسالة إلى الشباب
الفحص الطبي قبل الزواج
ضرورة أم ترف؟



جمعية الهافاف الخيرية

عمان - الأردن

تأسست عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

رسالة إلى الشباب

الفحص الطبي قبل الزواج ضرورة أم ترف؟

الدكتور

عبد الحميد القضاة

اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا)

مدير المختبرات التخصصية - اربد.

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٣/٣/٥٧٧)

٣٦٣,٩

قضا القضاة، عبد الحميد

رسالة إلى الشباب - الفحص الطبي قبل الزواج: ضرورة أم ترف؟

عبد الحميد القضاة. - عمان: جمعية العفاف الخيرية، ٢٠٠٣

(٥٢) ص

ر. أ (٢٠٠٣/٣/٥٧٧)

الواصفات: /الفحص الطبي// الرعاية الطبية// الزواج// الأسرة

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: ٢٠٠٣/٣/٦٢٥

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

تقديم

د. عبد اللطيف عربيات

رئيس الجمعية

الفحص الطبي قبل الزواج، من الموضوعات ذات الأثر البالغ في حياة الإنسان المعيشية، ومستقبل أجياله القادمة. فالسعادة أو الشقاء ترتبطان إلى درجة كبيرة بمستوى الصحة الأسرية التي جعلها الإسلام من مقومات الأسرة ومتطلباتها كما أرادها الله سبحانه وتعالى.

والفحص الطبي قبل الزواج، من الموضوعات التي غابت صورتها الحقيقية عن أنظار المسلمين في مجتمعاتهم المعاصرة، وأصبح بحاجة إلى البحث والتوعية الكاملة بأهميته وضرورة إجرائه وبيان الرأي الشرعي والطبي ومدى القصور الفكري والذهني عند المسلم المعاصر في التعامل معه والالتزام به.

وعقد الزواج الذي يتم بين شريكين وبصورة اختيارية فيها كل معاني النية الخالصة والعزم الأكيد، على بناء

شراكة هادفة، هذا العقد هو أقدس وأعظم وأخطر عقد بين العقود التي تبرم بين بني البشر كافة، فهو العقد الذي يسعى فيه الشريكان إلى التخطيط المشترك لرسم معالم الحياة لهما، والمشاركة في بناء مستقبلهما وما يترتب على ذلك من نظرة شمولية لكل متطلبات الحياة وأهدافها وغاياتها.

فالعقد هذه صفاته، حري به أن يعقد على ضوء المعرفة الكاملة بالطرف الآخر، ومدى الموافقة والاستعداد للسير في هذه الطريق الطويلة، ومعرفة المعوقات و الموافقات من كل طرف، وفي مقدمة ذلك الناحية الصحية التي لا تتم معرفتها إلا بالفحص الطبي قبل الزواج.

والعلم الحديث، يؤكد لنا أن هناك عشرات الألوف من الأمراض التي يصاب بها الإنسان، والتي قد يكون بعضها ذا أثر سلبي على مستقبل الأسرة ويتأثر بها الزواج ومستقبل الأسرة، ولهذا فالوعي الحقيقي والمعرفة الأكيدة بهذا الأمر، أصبحت من ضرورات عقد الزواج ومتطلباته.

والبحث العلمي الرصين الذي بين أيدينا، لمؤلفه
الأستاذ الدكتور عبد الحميد القضاة ، هو في صميم ما أشرنا
إليه بهذه المقدمة القصيرة. فالدكتور القضاة من العلماء
المختصين في هذا الميدان، ومن المشهود لهم بعلمهم وإيمانهم
وخلقهم، وهو من المؤهلين من كافة الوجوه، علماً وخلقاً
للنظر في هذا الموضوع، وبيان أهميته وضرورة الالتزام به
وتجلية جوانبه المختلفة من المنظور الطبي ومن المنظور الشرعي.
وما أورده الدكتور القضاة من شواهد علمية متخصصة في
بيان خطورة هذا الموضوع وأهمية العلم والمعرفة بهذه الأمور
عند اختيار الشريك من النواحي الطبية الشاملة ومن النواحي
الشرعية جاءت في موضعها الحقيقي بصورة تؤكد التلاقي
والتوافق الكامل بين النظرة الطبية والنظرة الشرعية في ضرورة
إجراء الفحص الطبي قبل الزواج وبالصورة التي أشار إليها.
وقدم الدكتور القضاة هذا البحث في مؤتمر اتحاد
الأطباء العرب في أوروبا والمنعقد في روما في إيطاليا، وهذا
يعطي البحث الأهمية اللازمة على المستويين العالمي والمحلي.

وجمعية العفاف الخيرية في الأردن والتي أتشرف
برئاستها، من البادئين في النظر والبحث وعقد الندوات العلمية
والحملات الوطنية لتوضيح متطلبات وضرورات هذا الفحص،
وقد أشار الأخ المؤلف إلى ذلك في أكثر من موقع في المراجع
التي اعتمدها.

أشكر الدكتور القضاة على هذا البحث القيم، وأسأله
سبحانه وتعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم، ونفع الله في
علمه وأمد في عمره ووفقه إلى مزيد من العطاء والخير
والسداد.

والله ولي التوفيق.

الفحص الطبي قبل الزواج

الفحص الطبي قبل الزواج* : هو عبارة عن مجموعة من الفحوصات المخبرية والسريرية التي يقترح عملها لأي شريكين قبل ارتباطهما بعقد الزواج، وذلك لتقديم النصح لهما بهدف الوصول إلى حياة زوجية سعيدة وأطفال أصحاء وبالتالي أسرة سليمة ومجتمع سليم.

والفحص الطبي قبل الزواج موضوع هام جداً، وهو من المجالات التي يمكن أن تساعد في إحداث التغيير نحو الأفضل في المجتمعات الإسلامية، والمقصود منه إدامة السعادة في الحياة الزوجية، والحفاظ على المودة والرحمة بين الزوجين، كما قال سبحانه وتعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن

* ناقش هذا الموضوع مجموعة من أهل الاختصاص في ندوة خاصة عقدتها جمعية العفاف الخيرية في عمان في ١٠/٨/١٩٩٤م، ووثقت ذلك في كتاب خاص.

في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون"^(١)، ثم المحافظة على صحة النسل وصحة الذرية، لأن ذلك من كليات الإسلام الخمس. ومن المعلوم بداهةً أن قلب الأبوين مفطورٌ على محبة الولد، ولولا ذلك لانقرض النوع الإنساني من الأرض، ولما صبر الأبوان على رعاية أولادهما، ولما قاما بكفالتهم وتربيتهم والسهر على أمرهم والنظر في مصالحهم، فهم زينة الحياة الدنيا مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا..."^(٢) وهم قرة العين وفلذة الكبد وثمره الفؤاد والله سبحانه وتعالى يقول: "والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً"^(٣).

وتبتهت هذا الزينة، وتنتفى السعادة من البيت، بل قد يتحول إلى ركام من البؤس، عندما يمرض الولد وتهده حرارة الألم ولو لساعات، فكيف يكون الحال إذا كان المرض دائماً لا يرجى شفاؤه، فكم من أم تفر قلبها ألماً وأسىً وهي

(١) الروم ٢١.

(٢) الكهف ٧٤.

(٣) الفرقان ٧٤.

ترى فلذة كبدها يتضور ألماً، وكم تمت لو تمرض هي ويشفى، وكم من أب حرم نفسه ليسعد ولده.

لهذا كان الفحص الطبي قبل الزواج مهم جداً لأنه يساعد في التخفيف من معاناة الأبوين خاصة والمجتمع بعامته، وذلك بتقليل انتشار الأمراض الوراثية والتخلف العقلي عند الأطفال والتخفيف من حدة التشوهات الخلقية والإعاقة^(١).

ومعلوم طبياً أن المرض يسبق العلاج لذا وجب أن تسبق الوقاية المرض، ولما كان الإسلام ينظر للأسرة على أنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فقد أحاطها الطب الوقائي الإسلامي بسياج متين، وفق قواعد أساسية تكسبها مناعة ذاتية، تقيها غوائل العدوى والأمراض المختلفة. وشتان بين أن نسعى لعلاج المريض بعد إصابته وبين أن نقيه المرض أصلاً.

ولقد أدركت الأمم قديماً وحديثاً هذا الفرق، فأولت الجانب الوقائي اهتمامها الأول في كل التدابير الصحية،

(١) عدد مختلف الإعاقات في الأردن حسب إحصائية عام ١٩٧٩ كان ٢٠٠٠٠ حالة. أما الآن فيتوقع لها أن تزيد عن ٢٠٠٠٠ حالة وهذه أقل من النسب العالمية حيث أنها حسب تقارير اليونسيف ١٠% .

واتفقت على أن "درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج". ووفق هذا الفهم رفعت منظمة الصحة العالمية شعار "الصحة للجميع"، وعقدت له العديد من المؤتمرات، حتى أصبحت فلسفة النظرية الطبية الحديثة تعتمد الوقاية لا العلاج، كما أخذت تتباهى الدول المتقدمة في تخفيض أعداد المرضى والمعاقين لا في زيادة أعداد المستشفيات وكميات العلاج.

ولقد سبق الإسلام النظرية الطبية الحديثة هذه عندما أمر البشرية على مدار الزمان والمكان بالحفاظ على الصحة وعدم إتلافها "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"^(١)، وأوضح لهم الطرق التي تؤدي بهم إلى الهلاك وحذرهم أشد التحذير منها، وتوعدهم من سلكها أشد الوعيد رحمة به وبمجتمعه، كما بين السبل التي تسمو بهم جسدياً ونفسياً نحو الصحة والسلامة، بل خصص أحسن الجوائز وأكرمها، وهي الجنة، لمن يقدم مصلحة المجتمع على مصلحته وصحته حين اعتبر الذي يموت مطعوناً (أي يسبب مرض الطاعون) في عداد

(١) البقرة ١٩٥.

الشهداء^(١) وذلك لأننا مأمورون أن نلتزم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: "إذا سمعتم به (أي الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"^(٢). أن لا نقدم عليه فأمر طبيعي وذلك طلباً للسلامة وابتعاداً عن الإصابة به، ولكن أن لا نخرج فراراً منه (ظاهر الأمر لنسلم من المرض) فهذا هو الأمر الصعب ولكنه الأهم لأن فيه سلامة المجتمع، حيث أن خروجنا من المنطقة الموبوءة إلى أرض جديدة يعني أننا سنكون واسطة لنقل جرثومة المرض (وهي شديدة العدوى شديدة الفتك) ونشرها. وفي ذلك شرٌ كبير للمجتمع حيث تتسع دائرة المرض وتتضاعف أعداد الضحايا وهذا الذي لا يمكن أن يقبله مسلم، لذلك فالثبات والصبر والاحتساب وعدم الخروج ولو أدى إلى الإصابة بالمرض هو الأولى التزاماً بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء خمسة، المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل. وقال أيضاً: الطاعون شهادة لكل مسلم" رواهما مسلم في صحيحه.
(٢) رواه الشيخان

ووقاية للمجتمع من الأمراض وحفاظاً على المصلحة العامة
ولهذا خصصت مثل هذه الجائزة العظيمة وهي الشهادة لمن
يموت مطعوناً.

والمسلم يدرك قيمة العافية والمحافظة عليها وهو في
ذلك متبعٌ لا مبتدع، فقد قال عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي
الدرداء: "قلت يا رسول الله لأن أعافى فاشكر أحب إليّ من
أن أبتلى فأصبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ورسول الله يحب معك العافية" (١).

وقد حدد الإسلام بتشريعاته السامية ونظامه الشامل
لكل من الخاطبين قواعداً وأحكاماً، ليضمن لهما زواجاً
سعيداً، يحقق السكن والمودة والرحمة المشار إليهما في قوله
تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..." (٢). وبهذا
يكون الزوجان في منتهى التفاهم والمحبة والوفاق، وتتكون

(١) رواه أبو الدرداء .

(٢) لروم ٢١ .

منهما الأسرة السعيدة السليمة التي هي نواة المجتمع السليم المنشود، وبمثل هذا الجو الأسرى السليم، تنطلق العقول، وتتفجر الطاقات وتنهض الملكات الإنسانية بكل أعبائها، عطاءً يتجاوز الكفاية إلى حد الرفاه، فيتحقق المجتمع السليم المنتج الذي ينطبق عليه التعريف الذي اعتمده منظمة الصحة العالمية بأنه "حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية لا مجرد غياب المرض الظاهر أو العجز"^(١).

ولا بد من إرشاد راغبي الزواج إلى شريك ترعرع في بيئة صالحة، وتناسل من نطفة سليمة، انحدرت من أصل كريم، وجدود أجداد أصحاب أقياء. ولعل السر في ذلك كي يولد الأبناء أصحاباً، مفطورين على معالي الأمور، مغروسة في أعماق نفوسهم القيم الأصيلة والأخلاق العالية الرفيعة، حتى إذا ما نشأوا في أسرة كهذه، رضعوا لبان المكارم والفضائل،

(١) هذا يذكرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: "من أصبح معافى في بدنه أمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" رواه الترمذي وغيره.

واكتسبوا الخصال الحميدة، وبدا تنمو في نفوسهم بذرة الخير
وكريم العادات ليعيشوها في مستقبلهم مؤهلين بهذه القيم.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، أوصى عثمان بن أبي العاص
الثقفي أولاده في تختيار النطف، وتجنب عرق السوء، حيث
قال: "يا بني الناكح مغترس فلينظر أمراً حيث يضع غرسه،
والعرق السوء قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين".

وقد أجاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على
سؤال أحد الأبناء حين سأله عن حق الولد على أبيه فقال:
"أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن".

وهذا الانتقاء الذي وجه إليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم، يعد من أعظم الحقائق العلمية والنظريات التربوية
المعاصرة، فعلم الوراثة أثبت اكتساب الصفات الخلقية
الجسمية والعقلية من الوالدين، فعندما يجتمع في الولد عامل
الوراثة الصالحة وعامل التربية الفاضلة يصل إلى ذروة الكمال
الإنساني.

ولكي يكون بناء الأسرة سليماً، والزواج مبنياً على العقل لا على العاطفة التي لا تصلح أساساً جيداً لهذا الزواج، لأنها تنسي صاحبها كثيراً من الأمور الظاهرة فضلاً عن الأمور الخافية، ولطالما غصت المحاكم الشرعية في بلادنا بعشرات الآلاف من قضايا النزاع والشقاق لفسخ مثل هذا الزواج الذي اعتمد العاطفة فقط. لهذا كله وللإبقاء على الأسرة متماسكة وإدامة الحياة الزوجية السعيدة، والحفاظ على الذرية السليمة، هناك أمور ينتقى الشريك شريكه على أساسها وتتلخص بما يلي:

أ- الأمور الأساسية العامة التي يمكن إدراكها من قبل الشريكين لوحدهما دون تدخل أو مساعدة، وهذه يمكن أن تشمل التدين والبيئة الصالحة والمنبت الحسن والمؤهل العلمي والمستوى الثقافي والمعيشي والجمالي ثم الحسب والنسب^(١). فقد روى الدارقطني والعسكري وابن عدي عن

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تتكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخاري .

أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء".

ب- الأمور الصحية التي يحتاج في معظمها الشريكين إلى نُصح أهل الاختصاص، وهي موضوع هذه الورقة. وتنقسم إلى الأنواع التالية:

١- أمور الصحة الظاهرة للعيان، حيث يمكن

للشريك أن يراها أو يدركها لوحده إذا دقق وأمعن النظر. لذا يتحمل هو مسئوليتها مباشرة. وهذه الأمور تتعلق بالسمع والبصر والنطق والعرج والبرص^(١) والتشوه أو التخلف الظاهر والجنون كما تشمل بعض العادات المنفرة كالتدخين والأمور المحرمة قطعاً كالخمر والمخدرات. فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال إني تزوجت امرأة من

(١) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني اعوذ بك من الجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام" سنن النسائي.

الأنصار. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئاً، قال قد نظرت إليها...".^(١)

أما التدخين فقد ثبت ضرره على أطفال المدخنين، وهو أكثر تأثيراً إذا كانت الأم مدخنة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يموت سنوياً ٣٥٠.٠٠٠ إنسان نتيجة التدخين، ويموت أيضاً خمسون ألف زوج نتيجة تدخين أحد الزوجين (التدخين السلبي). علماً أنه ثبت علمياً تأثير الدخان على الأطفال وخاصة الأجنة منهم، فمنهم من يولد صغير الحجم، ومنهم من يصاب بالتخلف العقلي.

أما الخمر فله أضرار كبيرة على الحياة الزوجية والأسرة، حيث أن نسبة الطلاق في أسر شاربي الخمر أربعة أضعاف ما هي عليه عند الأسر العادية. كما أن مشكلة ضرب الأولاد ضرباً مبرحاً من قبل الزوج أو الزوجة أو كليهما إذا كانا مخمورين تعتبر السبب الأول والأهم في وفاة

(١) أخرجه احمد في مسنده .

الأطفال من الولادة حتى سن الخامسة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يصاب سنوياً ١،٢ مليون طفل بإصابات مبرحة ووفيات (Baby Buttered Sydrome). كما أن شرب الأم للخمور له تأثير مباشر على الجنين ويسبب له المرض (Alochol Fetal Sydrome).

٢- أمور صحية ظاهرة ولكن لا يمكن للشريك أن يراها أو يدركها لأنها خافية، ولا يمكن أن يعرفها إلا أهل الاختصاص. ومثال ذلك الرتق والقرن والاضطرابات الشديدة في الدورة الشهرية عند الأنثى وانقطاع الطمث أو الجب والعنة عند الرجل وعدم المقدرة على إنتاج الحيوانات المنوية^(١). روى الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أم سليم إلى امرأة وقال لها "انظري عرقوبيها وشمي عوارضها"^(٢).

(١) قرر الفقهاء العيوب التي يثبت بها فسخ النكاح أنها سبعة. ثلاثة يشترك فيها الزوجان وهي الجنون والجدام والبرص وإثنان يختصان بالزوج وهو الجب (قطع الذكر) والعنة (ارتخاؤه). وإثنان يختصان بالمرأة وهما الرتق (انسداد الفرج) والقرن (عظم في الفرج يمنع الجماع).

(٢) العوارض: رائحة الفم.

ويروي أنه عليه الصلاة والسلام تزوج امرأة من غفار، فلما دخل عليها رأى بكشحها^(١) بياضاً فقال: "البيسي ثيابك والحقى بأهلك" وقال لأهلها "دلستم علي"^(٢). وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد غررتموني" وعد ذلك غرراً وردها ولم يمسهها. وبعض الروايات تذكر أنها أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضاً فمتّعها وردها إلى أهلها.

٣- الأمراض الخافية التي لا يمكن لا للشريك ولا

للطبيب معرفتها إلى بالرجوع إلى التحليل المخبري. وهذه مسؤولية أهل الاختصاص من الأطباء أو السلطات الصحية. ولا بد للمقبلين على الزواج من استشارتهم والاستفادة من نصحتهم لتجنب ما لا تحمد عقباه.

(١) كشحها: جنبها .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبير من رواية بن عمر.

الأمراض الخافية

وهذه الأمراض تقسم إلى نوعين رئيسيين:

الأول: الأمراض الوراثية

وهي مجموعة كبيرة من الأمراض التي تظهر على الإنسان نتيجة خلل في المادة الوراثية عنده، انتقلت إليه من الأم أو من الأب أو من كليهما أو ظهرت بشكل طفرة دون أن يكون لها أساس سابق عند الوالدين وهذه الأمراض الوراثية تكون بصفة سائدة أو بصفة متنحية.

وقد ذكر "دانييل كيفلي" في كتاب (الشفرة الوراثية للإنسان) أن الصفات الخلقية للإنسان تحكمها مجموعة كبيرة من الجينات (مائة ألف جين). لمعرفة هذه الجينات من حيث العدد والموقع والمسؤولية الوراثية صحة أو مرضاً كان ما سمي بمشروع الجينوم البشري حيث اشتركت به الدول العظمى وأنفقت عليه مليارات الدولارات، وسيكون لهذا المشروع وما ينتج عنه من الخارطة الجينية للإنسان

بصمات واضحة في كشف وتشخيص ومعالجة الأمراض الوراثية في مجال الهندسة واستنساخ الجينات لأغراض شتى. والخارطة الجينومية هي عبارة عن وصف لترتيب الجينات والدلائل الجينية على كل الكروموسومات في الإنسان، وقد أثبتت هذه الدراسة أن الخارطة الجينومية البشرية تحوي أكثر من ألف (١٠٠٠) مَعْلَم مرجعي (Maker) يتبع كل مَعْلَم مرجعي ثلاثة ملايين وحدة نيوكليوتايد. كما يوجد مائة جين بين كل مَعْلَمين وقد أظهرت الدراسة أن أي خلل في جين واحدة من المائة ألف عند الإنسان يمكن أن ينتج عنه مرض وراثي واحد على الأقل، علماً أن بعض الفحوصات أثبتت أن عَطْلاً واحداً في جين معين يؤدي إلى ظهور مجموعة من الأمراض الوراثية المختلفة عند صاحبها أو ذريته -فيما بعد- ونتيجةً لذلك فقد عُرف الآلاف من الأمراض الوراثية عند الإنسان للآن، وهي بازدياد تبعاً للتقدم العلمي والطبي ولذلك فإن الكشف عنها يحتاج إلى تكاليف باهظة وجهدٍ كبير.

ولذلك فالبحث عن كل هذه الأمراض قبل الزواج أمر غير ممكن، بل يصبح من معقدات الزواج، ويؤدي إلى ضرر أكبر وتأخير للزواج غير محمود، بل ربما يسبب بعض الأمراض والانحرافات^(١). لذلك لا بد من موازنة الأمور، وحساب الأولويات، والبحث عن المخرج المفيد الذي يمكن أن يساعد في حماية الجيل الجديد من بعض الأمراض دون أن ندخله في متاهات جديدة، آخذين بعين الاعتبار الإمكانيات العلمية والمادية لما نريد عمله.

لهذا فمن المفيد التركيز على بعض الأمراض الوراثية المنتشرة، والتي لها آثار طبية واجتماعية واقتصادية واضحة، وبصمات إعاقية على الأطفال وذويهم، ثم جدولتها حسب الأهمية والإمكانية، ثم البدء بتطبيق الممكن عملياً. ومثال ذلك فقر الدم الوراثي لحوض البحر الأبيض المتوسط

(١) امراض ترايسومي ٢١ وترايسومي ١٨ ناتجة عن تأخير الزواج عند الأنثى. فالمرأة إذا تزوجت في سن الخامسة والعشرون فما دون فإن نسبة طفل من كل ألفين سيصاب بمرض المنغولية (ترايسومي ٢١) ولكن إذا تزوجت في سن الأربعين فستكون النسبة طفلاً واحداً من كل أربعين طفل .

-مرض الثلاسيميا^(١) - في الأردن، وهو مرض وراثي ينتقل من الأبوين، وفي حالاته الرئيسية يصاب الطفل بفقر الدم المزمن الذي يحتاج معه إلى الدم وبعض العلاجات بشكل دوري، مع معاناة وآلام له ولوالديه لا نهاية لها ما دام حياً. علماً أن عدد الحالات المسجلة رسمياً قد زادت عن ثمانمائة حالة، ولا شك أن هناك حالات أخرى لم تعرف للآن. وذكرت الدكتورة سناء سقف الحيط أن نسبة الحاملين لهذا المرض في الأردن حسب إحصائية سابقة هي ٤% ، وقد تكون الحقيقة أكبر من هذا، وربما تتراوح بين ٧-١٠%^(٢) .

وبصرف النظر عن مقدار النسبة فإنها تشكل كارثة على مستوى الأسرة والمجتمع، فهي في نطاق الأسرة ركام من الآلام والبؤس، وفي المجتمع عبء مادي ثقيل، فبدلاً من أن يكون مثل هذا المريض فاعلاً منتجاً أصبح عاطلاً مكلفاً، الأمر الذي يوجب علينا الالتزام بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم

(١) وقد باشرت وزارة الصحة الأردنية بتقديم هذه الخدمة مجاناً لمن أراد من المقبلين على الزواج من خلال ٢٨ مركزاً للأمومة والطفولة في المملكة .
(٢) محاضرة لندوة الفحص الطبي قبل الزواج في ١٠/٨/١٩٩٤، جمعية العفاف الخيرية عمان .

في اختيار الشريك للتخفيف من مثل هذه الأمراض، فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم**"^(١) كما روى ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أيضاً أنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه أخواتهن وإخوانهن**" وفي رواية أخرى " **تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**"^(٢) .

أما موضوع زواج الأقارب، فقد ثبت علمياً أن نسبة ظهور الأمراض الوراثية النادرة، ترتفع كلما زادت صلة القرابة بين الزوجين، وكلما تكررت عبر أجيال متتالية في الأسرة. والحقيقة العلمية للأمراض الوراثية تفيد، بأن كل زواج معرض لإنجاب تخلفات غير طبيعية أو أمراض وراثية، وهذه الاحتمالية تكون ٢% في زواج الأعراب و ٤% في زواج الأقارب من أبناء العمومة الأولى.

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم .

وعند الحديث عن زواج الأقارب، فلا بد من الإيغال بهذا الموضوع برفق وموضوعية، فهو ليس السبب ابتداءً في حدوث الأمراض الوراثية، ولكنه يُركّز أي حالة وراثية في الأسرة إذا تكرر تزواج أبناء العمومة الأولى، والغالبية العظمى من زيجات الأقارب كمثل غيرها من الزيجات^(١). إلا أن للأمر وجهاً آخر غير الأمراض الوراثية، أراد الإسلام تحقيقه من الزواج، ويقصر زواج الأقارب عن تحقيقه، مثل تمازج الشعوب والقبائل واكتساب صفات جسمية وخصال حميدة "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"^(٢) وتوسيعاً لدائرة التعارف الفردي والجماعي، وزيادة في الإطلاع على المعارف والعادات والتقاليد الإيجابية الجديدة، وتمتيناً للروابط الاجتماعية. لذا فهو يشجع تغريب النكاح واعتماد الأساس الذي وضعه لنا رسول الله صلى الله عليه

(١) لا شك إن عادة زواج الأقارب كانت منتشرة بشكل كبير جداً في الأردن ولكنها بدأت تتناقص شيئاً فشيئاً تبعاً لأمر وعوامل كثيرة في مجال الحياة وهي الآن حوالي ٥٠% ومنها ٣٦% زواج أبناء العمومة الأولى .
(٢) الحجرات ١٣.

وسلم بقوله: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه
إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"^(١).

ومع قناعتي بعدم استطاعتنا المادية والعلمية عمل
الفحوصات المختلفة لكافة الأمراض الوراثية، إلا أنني اعتقد
أننا لو استطعنا ذلك فعلاً، فلا يجب عمل كل هذه
الفحوصات، بل إجراء الفحص الضروري الذي يمكن أن
يُقترح من أهل الاختصاص للخاطبين، ليكشف عن حالة
مرضية موروثية في عائلة أي من الشريكين، وبعدها وبناءً على
نتائج الفحوصات، والتاريخ المرضي للعائلة، يمكن للمختص
أن يقدم نصحه وإرشاده بشكل سري وشخصي للمعنيين
فقط، وبهذا نكون قد ساعدنا بالتخفيف من احتمالات
حصول الإعاقات، دونما زيادة في التكاليف والجهود غير
الضرورية.

(١) رواه الترمذي .

الثاني: الأمراض المعدية

وهي أكثر الأمراض انتشاراً في العالم، وخاصة مجموعة الأمراض المنقولة بواسطة الجنس، وقد زاد عددها للآن عن أربع وعشرين مرضاً، وهي تؤذي الجسم بعامة وتتلف الأعضاء الجنسية بخاصة والتي تسبب العقم والإجهاض المتكرر للنساء والتشوهات الخلقية للأطفال. ومن هذه الأمراض ما له علاج ومنها ما ليس له. وقد سبق وأن أعلنت منظمة الصحة العالمية أن عدد الذين يصابون بالأمراض الجنسية سنوياً يزيد عن (٧٥٠) مليون إنسان. فالزهري لوحده يصيب خمسين مليون شخص سنوياً، أما السيلان فهو أكثر الأمراض البكتيرية انتشاراً بين الشباب، حيث تزيد عدد الإصابات السنوية به عن مائتي مليون إصابة ويُسميه الدكتور سومرز بالعقم الأكبر، وأما الالتهابات بالجهاز التناسلي التي تسببها جرثومة الكلاميديا، فالإصابات بها فاقت كل توقع، حيث تصل سنوياً إلى خمسمائة مليون إصابة. وهذه المجموعة من الأمراض هي من مسببات العقم والإجهاض المتكررة. وأما

ثالثة الأثافي فتمثل بالإيدز، الذي أصيب به عشرات الملايين
للآن ومات عشرات الملايين غيرهم، وخلف ملايين الأيتام
خاصة في إفريقيا. أما برميل الإيدز الأضخم بدأت تظهر
ملاحه في الهند وروسيا وبعض الجمهوريات الروسية التي
استقلت حديثاً.

هذا المرض الذي باءت كل المحاولات لإيجاد طعم
واق منه بالفشل - تماماً كما حصل مع بعض الأمراض الجنسية
الأخرى كالسفلس والسيلان-. كما لم تشفع آلاف
المختبرات وملايين العلماء الدارسين ولا مليارات الدولارات
لإيجاد علاج شافٍ منه للآن. ورغم كل التكنولوجيا الطبية
والتقدم في التشخيص وإغلاق بعض المنافذ التي ينتقل
بواسطتها كالدّم وعلاج الناعور وغيرها، إلا أن الأعداد
بازدياد مستمر على مستوى العالم. ولذلك فهو مرض جنسي
معدٍ ولا علاج له للآن ويجب على الناس بعامة والخاطبين
بخاصة أخذ كل الاحتياطات اللازمة لتجنب الإصابة به.

وهناك بعض الأمراض المعدية ولكنها لا تنتقل جنسياً
ولا ذنب للمريض فيها، ولكنها تنتشر بسبب تردي وتخلف
المستويات الصحية فمثلاً مرض الحصبة الألمانية يسبب العديد
من الأجهزة والتشوهات للأطفال بل هو أكثر الأمراض
المعدية المسببة لذلك، ويمكن تلافيه بالفحص المسبق أو التطعيم
إما قبل الزواج أو على الأقل قبل الحمل والإنجاب. وهناك
أمراض أخرى مشابهة لا مجال لذكرها ولكن رفع المستوى
العام في الممارسة الصحية، والثقافة الصحية عند الناس له الأثر
الأكبر في تلافى أضرارها في المجتمعات.

فمن أجل أن يكون الزواج سعيداً منتجاً لذرية سليمة
ونسلاً قوياً، كان لا بد من انتباه كلا الطرفين لصحة الطرف
الآخر، لأن الإسلام أعطى كلاً من الزوجين حق مفارقة
صاحبة إذا كان مصاباً بمرض معدٍ أو منفر. فكيف بمن لم
يتزوج أو يرتبط بعد؟ فلا شك أن حقه وواجبه أكبر في
الوقاية وتجنب الأسباب المؤدية إلى الوقوع في التهلكة. وذلك
تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "... وفرّ من المجدوم كما

تفر من الأسد" ^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يورد
مُمرض على مُصح" ^(٢).

والجدام هو عبارة عن مرض تسببه بكتيريا وهو بطيء
العدوى ويحتاج الإنسان إلى مدة طويلة من ملازمة ومصاحبة
المريض حتى تقف العدوى. ورغم هذه الصفة - بطيء
العدوى - للمرض إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا
أن نفر منه فراراً فمن باب أولى أن نطبق ذلك على الأمراض
التي لا يُرجى شفاؤها وعدّوها أسرع.

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري.

الفحص الطبي قبـ

الأمر الأساسية

مستوى التدين
المنبت الحسن
مستوى الثقافة
الحسب والنسب
البيئة الصالحة
المؤهل العلمي
مستوى المعيشة
المستوى الجمالي

أمر صحية ظاهرة لا يراها الشريك

العقم عند الرجال
العنة عند الرجل
انقطاع الدورة
رائحة الفم
الشكل العام للجسم
الجب
الرتق
القرن

أمر صحية ظاهرة

السمع
البصر
النطق
العرج
التشوه أو التخلف الظاهر
البرص
الجنون
العادات المنفرة
التدخين
الخمر والمخدرات

ل الزواج

الأمور الصحية المباشرة وغير المباشرة

أمور صحية خافية على الطبيب وعلى الشريك

الفحص المخبري

الأمراض المعدية

الأمراض
الوراثية

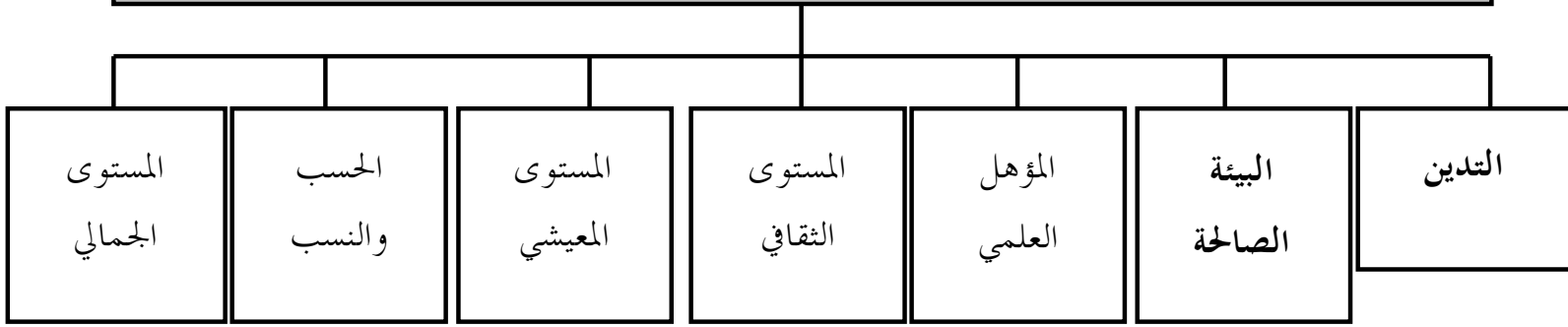
الوراثية السائدة
الوراثية المتنحية

معدية ومؤثرة على الذرية
(تشوه أو إجهاض أو عقم)

معدية
ومنفرة
الجذام

معدية وقاتلة لا
علاج لها
الإيدز

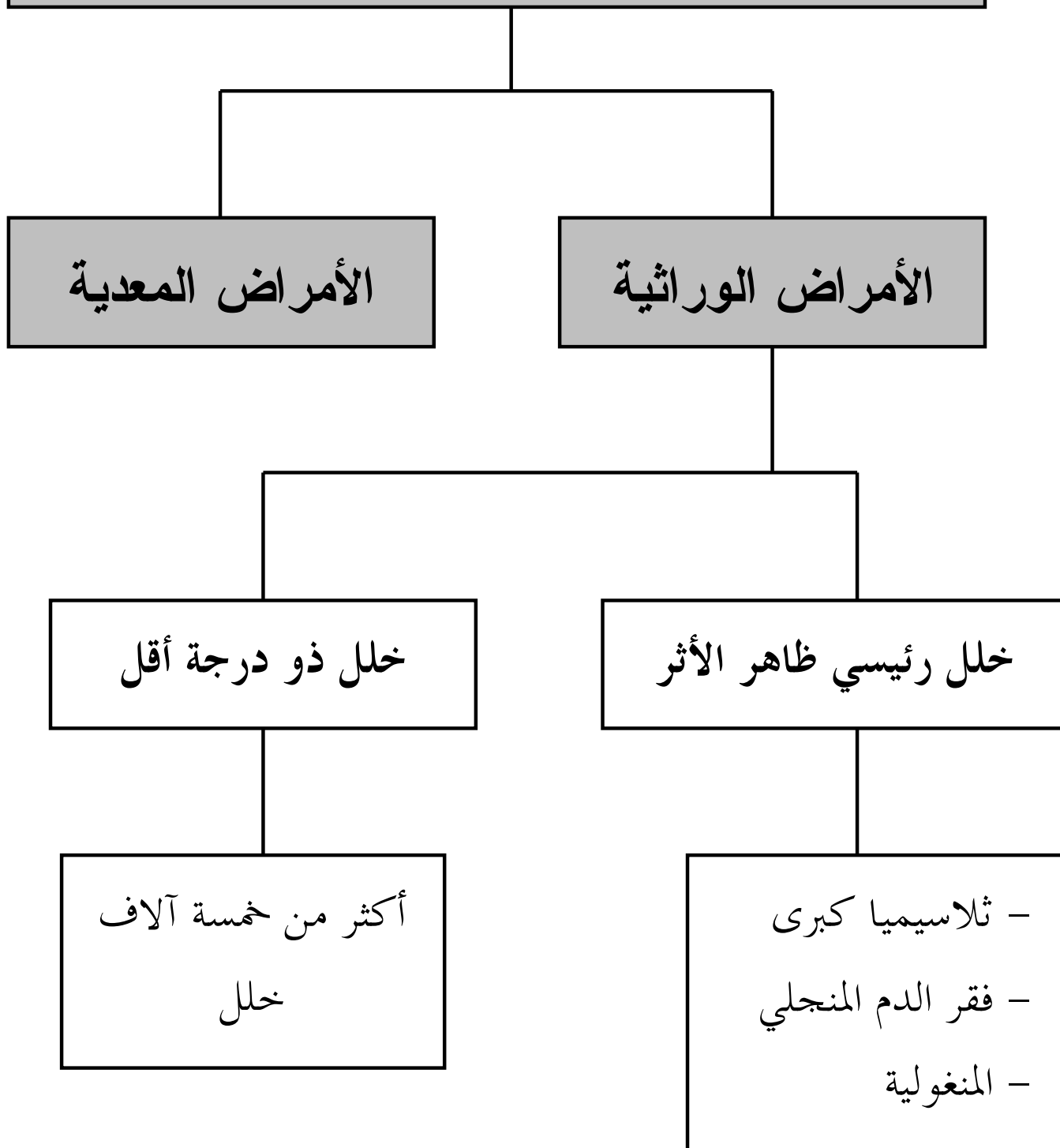
أسس الانتقاء العامة للشريك المصاحبة للفحص الطبي قبل الزواج

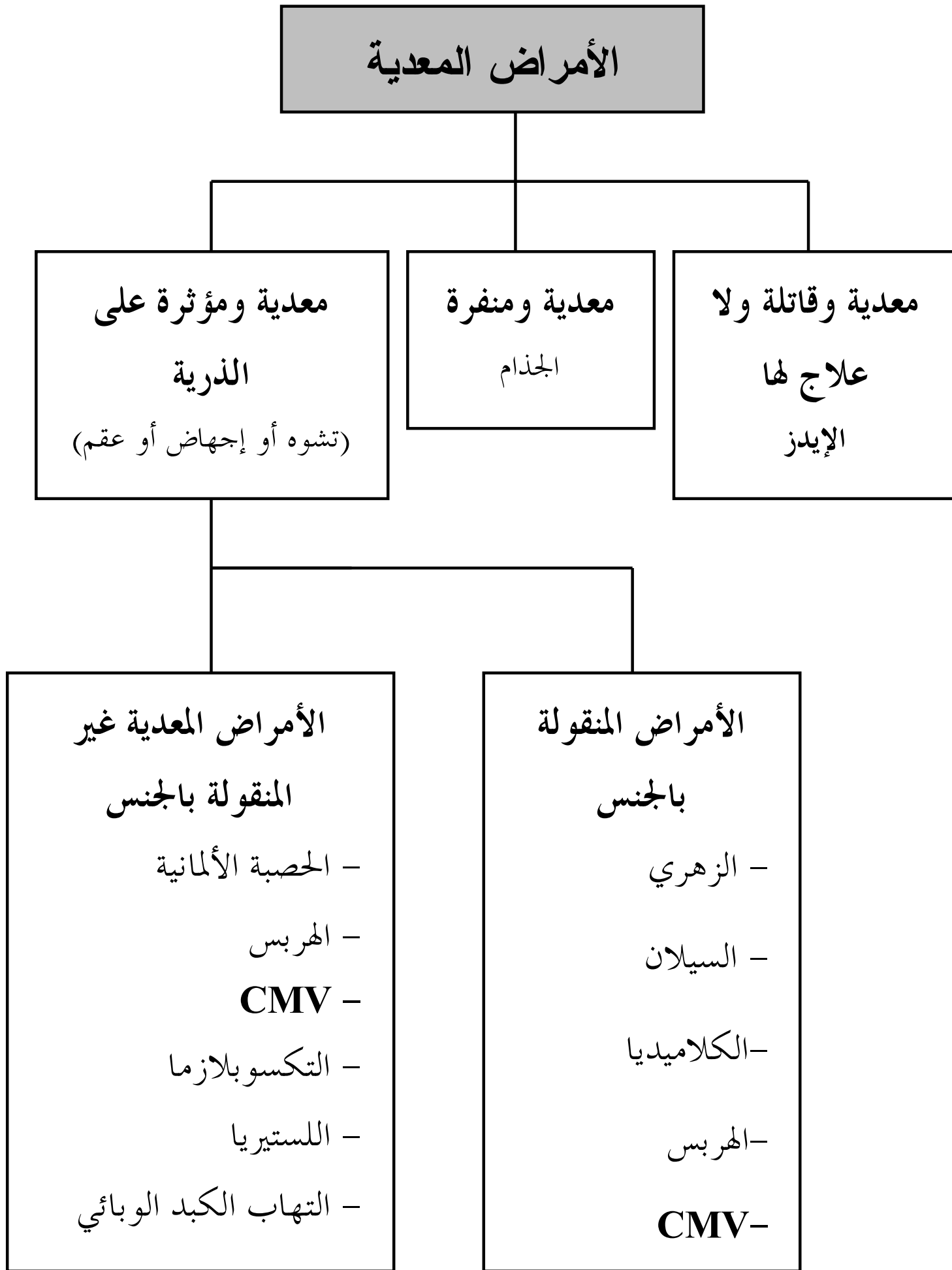


الأمر الصحية الظاهرة وغير الظاهرة للشريك



الأمور الصحية الخافية على الطبيب والشريك
-لابد من فحص مخبري-





مرض فقر الدم المنجلي الوراثي

يعد من أمراض الدم الوراثية التي يمكن السيطرة على انتشارها بالفحص الطبي قبل الزواج، كما هو الأمر بالنسبة لمرض الثلاسيميا.

وهذا المرض ينتج عن حدوث اختلال في أحد الأحماض الأمينية التي تدخل في تركيب بروتينات الهيموغلوبين حيث ينتج عن ذلك هيموغلوبين ذو صفات غير طبيعية، والهيموغلوبين كما هو معروف هو المادة التي تمنح الدم لونه الأحمر وتعمل على نقل الأكسجين من الرئة إلى بقية أجزاء الجسم.

وهناك جينان مسؤولان عن الهيموغلوبين عند كل إنسان يأتيان أصلاً من الوالدين. فإن كان الوالدان يحملان جينات سليمة وطبيعية فالذرية تكون سليمة من هذا المرض. وإن كان الوالدان غير ذلك أي يحملان جينات هيموغلوبين فيها خلل منجلي فسينتقل المرض للذرية فمنهم من يصاب

بالمريض كاملاً ومنهم من يصبح حاملاً لمرض فقر الدم المنجلي.

وهذا الأمر يمكن تجنبه ببساطة إذا قام الخاطبان بالفحص الطبي قبل الزواج واتبعا إرشاد الطبيب المختص. يشعر المصاب بفقر الدم المنجلي بالتقيء والإجهاد أثناء مزاويلته للعمل ولو كان بسيطاً. كما أن الضغط الذي تولده الكريات المنجلية يسبب نوبات ألم متكررة كما يظهر شحوب في لون الجلد والشفتين واللثة وتضخم الطحال كما يتسبب في تسارع النبض وارتفاع صوت دقات القلب والشعور بالدوخة، وربما تؤدي الإصابة بهذا المرض إلى تكون حصى في المرارة وانسداد الدورة الدموية للدماغ والتهاب شديد في الرئة، وهناك بعض المضاعفات الخطيرة التي يمكن أن تهدد حياة المريض.

لا يوجد إمكانية لعلاج هذا المرض تماماً للآن لكن الدراسات على قدم وساق عليه وعلى أمثاله من أمراض الدم

الوراثية ومن الأمور المركز عليها حالياً الهندسة الوراثية وزراعة نخاع العظام على ما فيهما من مخاطر.

ولكن الأدوم والأسلم والأوفر مادياً ومعاونة للأفراد والجماعات يكمن في الوقاية، فدرهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج، وهذا يمكن أن يتم من خلال الفحص الطبي قبل الزواج.

سلسلة بيتا جلوبيين غي

هيموجلوبين غي

خلايا دم حم

تكتل الخلايا يوئ

قصور محلي ف

تجمع الخلايا في الطحال

العضلات
والمفاصل

التهاب
المفاصل

الرئة

التهاب
الرئة

المعدة
والأمعاء

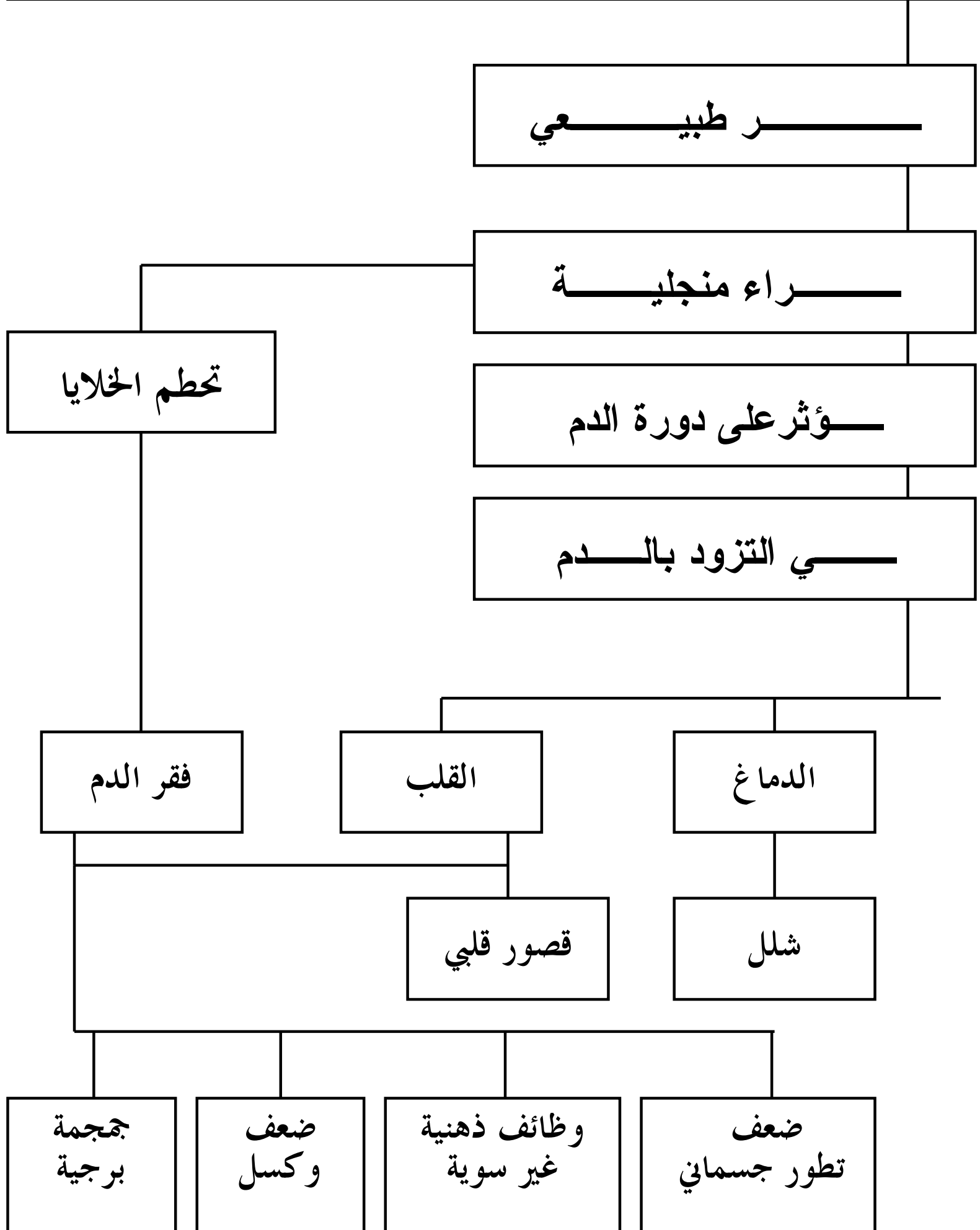
ألم
بطني

الكلية

فشل
كلوي

تضخم، تليف الطحال

ر طبيعىة + مجموعة هيم



الخلاصة

وخلاصة القول، فإن الفحص الطبي قبل الزواج، هو للوقاية من الأمراض وتقليلها، ونحن بذلك " نفر من قدر الله إلى قدر الله " كما قال الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. نجتهد في الأخذ بالأسباب، ونطبق المعنى العام لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " اعقلها وتوكل " شريطة أن لا يكون توكلنا عجزاً وعجزنا توكلنا، ولكن كما قال ابن القيم "بل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر".

وبذا نأخذ بأيادي شبابنا وشاباتنا إلى شاطئ السلامة، وإلى قدر الله الأخصب والأرحب على طول العالم بعامة والعالم الإسلامي بخاصة وعليه فلا بد من مراعاة الأمور التالية:

أولاً: لا بد من التركيز على إبراز أهمية الفحص الطبي قبل الزواج من الناحية الشرعية والطبية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال برامج التثقيف المختلفة

التي يجب أن تشمل المدارس والكليات والجامعات والنوادي والجمعيات والاتحادات، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية.

ثانياً: التركيز على أهمية مرضين ظاهرين، لأن آثارهما السلبية معروفة للعامة والخاصة - كنماذج- وجعل الفحص لهما مجاناً وجذاباً وسرياً، بحيث يتعود الناس على الأمر من حيث المبدأ، ويتلاشى الحاجز النفسي من بين الناس اتجاه الفحص الطبي قبل الزواج.

ثالثاً: عدم إلزامية إجراء جميع الفحوصات في المرحلة الراهنة، ريثما يتم تهيئة المجتمع نفسياً لمثل هذا الأمر، من خلال برنامج تثقيفي طويل الأمد، ينتهي بالإقبال الطوعي والتلقائي على إجرائها، لأن جعلها إلزامية بدون قناعة لا يجدي، إذ لا يعدم بعض الناس القدرة على التحايل والالتفاف على النص وإحضار الورقة اللازمة لإتمام مراسم العقد.

رابعاً: رفع مستوى الصحة العامة وتحديث برامج التطعيم
وبخاصة ضد الأمراض المعدية التي لها مساس بالذرية
والتشوهات الخلقية كالحصبة الألمانية مثلاً وذلك
لتخفيف وطأة الأمراض المعدية وآثارها.

خامساً: الاجتهاد قدر الإمكان بالعمل حسب الأهمية
والأولوية والاستطاعة، ونحن موقنون بأننا لن نستطيع
القضاء كلياً على المرض، ولكن ما لا يدرك كله، لا
يترك جله، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.

المراجع العربية

١. فتحي يكن (١٩٩١): التربية الوقائية في الإسلام.
٢. عبد الله ناصح علوان (١٩٨٣): آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجين.
٣. د. محمد علي البار (١٩٨١): العدوى بين الطب وحديث المصطفى .
٤. فاروق بدران وعادل بدارنة (١٩٩٤): كتاب جمعية العفاف الخيرية - ندوة الفحص الطبي قبل الزواج .
٥. د. سبيرو فاخوري (١٩٨٠): العقم عند الرجال والنساء، أسبابه وعلاجه.
٦. د. عبد الحميد القضاة (١٩٨٧): تفوق الطب الوقائي في الإسلام، مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة العالم الإسلامي - إسلام آباد .
٧. د. محمد علي البار (١٩٩٤): كتاب جمعية العفاف الخيرية، عمان - الأردن .
٨. د. سناء سقف الحيط (١٩٩٤): كتاب جمعية العفاف الخيرية، عمان - الأردن .

٩. عالية الرفاعي (١٩٩٤): كتاب جمعية العفاف الخيرية، عمان - الأردن .
١٠. دانييل كيفلي وليروي هود (١٩٩٧): الشفرة الوراثية للإنسان. القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري - سلسلة عالم المعرفة .
١١. د. عبد الحميد القضاة (١٩٨٥): الأمراض الجنسية عقوبة إلهية .
١٢. د. عبد الحميد القضاة (١٩٨٦): الإيدز حصاد الشذوذ .
١٣. د. عبد الله ناصح علوان (١٩٨١): تربية الأولاد في الإسلام، ج ١ .
١٤. د. محمد محمود الهواري (١٩٨٧): المخدرات من القلق إلى الاستعباد .
١٥. د. نبيل صبحي الطويل (١٩٨٦): التدخين وسرطان الرئة والأمراض الأخرى .
١٦. د. أحمد علي طه ريان (١٩٨٤): المخدرات بين الطب والفقہ .
١٧. د. مصطفى سويف (١٩٩٦): المخدرات والمجتمع نظرة تكاملية.
١٨. اللجنة الوطنية للدراسة والتوعية لظاهرة المخدرات والمسكرات (١٩٨٣) وزارة الصحة. الأردن.
١٩. د. محمد علي البار (١٩٨٥): الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها.
٢٠. د. محمد أيمن صافي (١٩٨٧): الإيدز وباء العصر .

٢١. محمد عفيف الزعبي (١٩٧٩): مختصر سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) .

٢٢. الإمام ابن قيم الجوزية: الطب النبوي .

٢٣. الإمام ابن قيم الجوزية: الداء والدواء .

٢٤. الإمام الحافظ الحسين بن المبارك: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (للبخاري).

٢٥. أحمد عيسى عاشور: الفقه الميسر في العبادات والمعاملات .

٢٦. د. محمد علي البار (١٩٩١) الجنين المشوه والأمراض الوراثية، الأسباب والعلاقات والأحكام.

٢٧. كيفن ديفس / تعريب د. ياسر العيتي (٢٠٠٢م) كسر شيفرة المورثات - الجينوم - قصة السباق لحل رموز الحمض النووي الريبي البشري منزوع الأكسجين.

المراجع الإنجليزية

1. Chanarin and Others (1987): Blood and its diseases.
2. Dorothy. E. Dusek and Daniel A. Girdano (1988):
Drugs A factual account.
3. Dlane Richardson (1987): Women and the AIDS
crisis.
4. M. A. Albar (1986): The problem of alcohol and its
solution in Islam.
5. N. M. Abuharfil and A. A. Al- Qudah (1991). The
immune status for young adults of Rubella virus in
nothern Jordan. Annals of Saudi Medicine. Vol. II,
No. 1, p. 54-57.
6. Gabor Kovacs (1984): Infertility .
7. Derek Jones (1974): Sex and V.D.
8. Cattwright (1972): Diseases and History.
9. C.B.S. Schofield (1979): Sexually transmitted
diseases.
10. Cruickshonk et.al. (1975). Medical microbiology.

أهداف جمعية العفاف الخيرية

- ١- العمل على تيسير سبل الزواج.
- ٢- إيجاد نظرة جديدة حول قيم الزواج وتكوين الأسرة، عن طريق نشر العادات الحسنة المستمدة من تعاليم ديننا الحنيف وأخلاقنا العربية الأصيلة.
- ٣- تقديم نماذج عملية لتثبيت العادات الإيجابية للزواج.
- ٤- القيام بدراسات اجتماعية حول مشكلات الأسرة والزواج، وتقديم الحلول المناسبة لها.
- ٥- إنشاء صندوق الزواج (صندوق العفاف).
- ٦- عقد دورات للتوعية والإعداد والإرشاد الأسري.